مجلة رسالة المسجد

الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

المجلد21/ العدد: 02 (السنة 1445-2023)
ص 08 - 26

الأدوار الأسرية في الخطاب المسجدي

The Family Roles in Mosque Discourse.

د. لخضر لزرق1

مديرية الشؤون الدينية والأوقاف لولاية قسنطينة، lakhdarlaz@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2023/10/29 تاريخ القبول: 2023/12/31 تاريخ النشر: 2023/12/31

ملخص:

يعالج هذا البحث قضية تتعلق بالأسرة، إذ يبين كيف تناول الخطاب القرآني الأدوار التي من خلالها يمكن المحافظة على الأسرة وحمايتها، واستخدم منهجي الاستقراء والتحليل، بالوقوف على الآيات القرآنية ذات العلاقة، ومحاولة استخلاص الدور المناط بالأسرة منها، ويأتي التحليل بعد ذلك ليظهر مدى الفاعلية المرجوة، ومن الأدوار المسجلة في هذا البحث، دور الاستقرار، ودور الإعمار، ودور الإصلاح، ودور القيادة، ودور الشهادة، ومن النتائج التي توصل إليها الباحث: أنه لا بد من توجيه وعي الناس نحو هضم هذه الأدوار، والرقي بالأنا الفردي والجماعي نحو تحقيقها، وتمثل ما فيها من وظائف وقيم، ولا بد أيضا من إبراز هذه الأدوار بمعناها السيسيولوجي والابستمولوجي، حتى نفهم هوية الدور بحسب موقع صاحب الدور، وهذه الهوية هي مجموعة الوظائف التي يملؤها الدور.

كلمات مفتاحية: الأسرة، الأدوار، الخطاب القرآني، الأدوار الأسرية.

Abstract:

his research addresses a family-related issue, demonstrating how Quranic discourse discusses the roles through which family preservation and protection can be achieved. It utilizes the methods of content analysis and inference, focusing on relevant Quranic verses to derive the roles assigned to the family. The subsequent analysis highlights the desired effectiveness. Among the roles documented in this research are stability, construction, reconstruction, reform, leadership, and testimony. The researcher's findings indicate the necessity of directing people's awareness towards embracing these roles and advancing individual and collective self toward their realization, embodying the functions and values they contain. It is also essential to emphasize these roles from a socio-linguistic and epistemological perspective to understand the role's identity based on the role's holder's position. This identity encompasses the set of functions that the role fulfills

Keywords: (The family, roles, Quranic discourse, family roles,)

Résumé
Cette recherche aborde une question liée à la famille, démontrant comment le discours coranique traite des rôles à travers lesquels la préservation et la protection de la famille peuvent être réalisées. Elle utilise les méthodes de l'analyse de contenu et de l'inférence, en se concentrant sur les versets coraniques pertinents pour déduire les rôles attribués à la famille. L'analyse ultérieure met en évidence l'efficacité souhaitée. Parmi les rôles documentés dans cette recherche figurent la stabilité, la construction, la reconstruction, la réforme, le leadership et le témoignage. Les résultats de la recherche indiquent la nécessité d'orienter la conscience des individus vers l'adoption de ces rôles et d'avancer vers leur réalisation, en incarnant les fonctions et les valeurs qu'ils contiennent. Il est également essentiel de mettre en avant ces rôles d'un point de vue sociolinguistique et épistémologique pour comprendre l'identité du rôle en fonction de la position du titulaire du rôle. Cette identité englobe l'ensemble des fonctions que le rôle remplit.
Mots clés : "La famille, les rôles, le discours coranique, les rôles familiaux."

[1]**المؤلف المرسل: د. لخضر لزرق، البريد الالكتروني:** lakhdarlaz@gmail.com

● مقدمة:

تعد الأسرة الحاضنة الأولى للإنسان، إذ من خلالها ينمو ويترعرع، ويُبنى وجدانه، وتتوجه عاطفته، ويحصل على ما يلبي حاجته الحسية والمعنوية، لهذا نجد ذلك الاهتمام البالغ من كل الأطراف بها، لأن الحصول على أسرة سوية يعني الحصول على مجتمع كذلك، وبالتالي أمة راشدة.

لقد اهتم القرآن الكريم بهذه النواة، توجيها وإرشادا، وتشريعا وتكليفا، وعمد من خلال آيات كثيرة إلى وضع الأطر الناظمة لهذا الكيان، حتى يجد الأفراد فيه معنى للسعادة والاستقرار، والريادة والقيادة.

ولا شك أن أطرافا من هنا وهناك تسعى لتقويض الدور الفعال لهذا الكيان، سعيا منها إلى عزله عن التأثير والتأثر، وبالتالي نشوء كيان ضعيف ومترهل، لا يؤدي شيئا من الأدوار، بل إنها تنيط به أدوارا أخرى ليست من مقصد الإنسانية، ولا من هدي القرآن.

وتجدر الإشارة إلى كثرة الدراسات والكتابات التي ناقشت موضوع الأسرة في القرآن على وجه العموم؛ فمن الكتب: **الأسرة بين العدل والفضل** للدكتور فريد شكري، و**الأسرة في مقاصد الشريعة: قراءة في قضايا الزواج والطلاق في أمريكا**، لزينب العلواني، و**الأسرة في التصور القرآني** لجميلة تلوت، لكن هذه الكتابات

انطلقت من منظور تشريعي يجمع بين الكليات والجزئيات دون تخصيص البحث باستخلاص تلك الأدوار ومناقشة الأدوار المناطة بها.

كما نجد عددا من المقالات التي حاولت ملامسة الموضوع بالاقتصار على القرآن الكريم، نذكر منها: **مقاصد الأسرة في القرآن الكريم**، لهدية غازي علي غازي، و**المقاصد الشرعية لبناء الأسرة المسلمة في الرؤية القرآنية** لرشيد كهوس، و**مقاصد الأسرة وأسس بنائها في الرؤية الإسلامية**، لماهر حسين حصوة (تلوت، 2018).

ونلاحظ مما سبق أن جل الاهتمام كان منصبا تجاه بيان مقاصد الشريعة من خلال التشريعات المتعلقة بالأسرة، ولا نكاد نقف على بيان الأدوار الأسرية ذات الصلة بالخطاب القرآني إلا في كتاب واحد للدكتورة خديجة مفيد- بحسب اطلاعي- تحت عنوان: الأدوار الأسرية بين المنظومة القرآنية والمنظومة الوضعية، وهي وإن كانت دراستها تنحو نحو المقارنة، غير أنها أفادت في مجال بيان الأدوار الإفادة البالغة، وللأسف لم أستطع الحصول على هذا الكتاب إلى حد هذه اللحظة، غير أني تمكنت من الوقوف على قراءة لبعض الأسانيد لهذا الكتاب، واستفدت بعضا منه من خلال هذه المدارسة.

وللدكتورة محاضرة بعنوان: البعد المقاصدي للبناء الأسري والأدوار الأسرية، وقد تناولت فيها: مفهوم الأسرة في المنظومة الوضعية والمنظومة الشرعية، وتاليا بيان الأدوار الأسرية في القرآن الكريم، وفي هذه النقطة، تعرضت لتفكيك البنية المعرفية، ثم إظهار الأسس التي تقوم عليها الأسرة في المنظومة الشرعية (تازي، 2023).

ودراسة الدكتورة خديجة أصل في هذا الباب غير أنها لما نحت منحى المقارنة، أدى ذلك إلى ملازمة التعريج على أقوال الآخر، وعرض ما لديه من منظومة معرفية مغايرة، وهذا يجر الباحث في الغالب إلى التوسع والذهاب إلى غير المقصود.

والإضافة التي يمكن لي أن أقدمها في هذا البحث هو الاقتصار على الخطاب القرآني وبيان ما فيه من أدوار للأسرة المسلمة.

لذا يتناول هذا البحث والذي هو بعنوان: (الأدوار الأسرية في الخطاب القرآني)، الأدوار الأسرية الحقة، التي أناطها القرآن الكريم بالفرد والأسرة، مبينا كل دور وما يحمله في طياته من وظائف ومهام، ولعل الإشكالية التي أود طرحها هنا هي: إلى أيّ مدى اهتم القرآن بقضايا الأسرة، وما هي الأدوار التي أوكلها القرآن الكريم إلى إلها؟

وللجواب عن هذه الإشكالية جاءت خطة الموضوع كالتالي:

مقدمة.

1-مدخل مفاهيمي أعرف فيه بالأسرة وبالدور، وبالخطاب القرآني.

2-أهمية الأسرة في المنظومة القرآنية.

3-الأدوار الأسرية في الخطاب القرآني.

الخاتمة.

- **مدخل مفاهيمي:**

يمكن لي في هذه النقطة أن أعرف ببعض المفاهيم ذات العلاقة بالعنوان، حتى يتوضح للقارئ ما سيتم الحديث عنه في ثنايا هذا البحث:

1. مفهوم الأسرة وطبيعتها.

1.1مفهوم الأسرة: لم يرد مصطلح الأسرة في القرآن الكريم، وإنما وجدت مصطلحات تقترب من هذا المدلول، نحو مصطلحي «الأهل والآل»، واللذان يدلان على جماعة الرجل وعشيرته (الفراهي، 2002، صفحة 121) لكن هذا لا يمنع من محاولة تبيين مفهوم الأسرة قبل الانتقال إلى بيان الأدوار، باعتبار تداول المصطلح اليوم.

1.1.1 التعريف اللغوي:

لو تأملنا الأصل اللغوي للكلمة، لوجدنا أنها تنحدر من الجذر اللغوي «أسر»، ويدل على الإمساك والقيد، وفي القرآن الكريم: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ الإنسان 28، أي شددنا خلقهم (الطبري م.، 2000، صفحة 117): وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم (ابن منظور، 1414، صفحة 20). ومعاني الشد والإمساك والأسر تحيل إلى المعنى الإيجابي؛ الذي يدل على أن أفراد الأسرة يشد بعضهم بعضا، وتربطهم أواصر قوية، فهي الحصن للإنسان؛ لأنها تقوم بتثبيت مصدر وجوده وتكوينه وتنشئته.

2.1.1 التعريف الاصطلاحي:

لم يرد مصطلح «الأسرة» في القرآن الكريم، كما سبق بيانه، لكنه كان اصطلاحا معروفا عند العرب يدل على جماعة الرجل، وتطلق العرب كلمة الأسرة للدلالة على قدر من التجمع البشري، وقد وردت الأسرة في نص طويل لابن حجر العسقلاني في تعديد مراتب الأنساب، وذكر جملة من التقسيمات من بينها الأسرة (العسقلاني، 1379، صفحة 528) باعتبارها شكلا من أشكال التجمع الإنساني.

وحين نرجع إلى مفهوم الأسرة في أدبيات التداول الإسلامي (الزحيلي، 2008، الصفحات 19-20)، فإننا نجد محددات ثابتة في البنية المفهومية لا يمكن إزالتها أو تغييرها، وهي: محدد الاختلاف الجنسي، ذكر وأنثى، ومحدد الأولاد، بالإضافة إلى المحدد الشرعي؛ وهو النشوء عن العلاقة الزواجية.

ولو تأملنا بعض التعاريف المعاصرة للأسرة في التداول الإسلامي (الزحيلي، 2008، صفحة 20)، لتبين لنا أنها تقوم في جملتها على أساس الرابطة، ومن ثم؛ فأركان الأسرة من المنظور الإسلامي تتمثل في:

- ترابط بين رجل وامرأة (اختلاف جنسي) تنتفي بينهما موانع التحريم بميثاق شرعي.
- قيام الرابطة على قصد التأبيد لا التأقيت.
- الرغبة في المكاثرة الكمية والكيفية بأبناء الصلب (تلوت، 2018).

ويمكننا بالتالي تعريف الأسرة، بقولنا: " هي النظام الذي تتحدد فيه أدوار كل فرد، وتتغير بتغير مراحل النمو التي يعيشها أفراد الأسرة من ناحية، وبالتغيرات في دورة حياة الأسرة من ناحية أخرى" (سركز، 2020).

2.1 طبيعة الأسرة:

إذا تأملنا القرآن الكريم فإننا نجده لا يفرض نمطا معينا للأسرة «نووية أو ممتدة»، وإنما يحرص على بيان الحدود والقيم التي تؤطر العلاقات الناتجة عن الزواج المشروع، الأمر الذي يجعل العلاقات مركبة ومتشابكة، تتداخل فيها العلاقة الزوجية بعلاقة المصاهرة والنسب، ولا أدل على ذلك من تشريعات الميراث المضبوطة والمتشعبة، والانضباط بهذه الحدود الشرعية والضوابط الأخلاقية يحفظ هذا التشابك الأسري وينمى هذا التآصر العائلي بين مختلف محددات الأسرة الكبيرة (الممتدة) أو الصغيرة (النووية).

ومن ثم، فإن بوصلة الأسرة في القرآن موجهة دائما نحو قبلة الأمة القطب، بغية النهوض والشهود، لذلك فإنه من بين المقاصد القرآنية العليا تحديد جماعة الأسرة بدءا من الزوجين ومرورا بالأبناء وما يترتب عن ذلك من علاقات النسب والمصاهرة في تشريع دقيق محدد ومنضبط، حتى تتميز الجماعة الأسرية عن غيرها من جهة، وحتى تكون هذه الجماعة اللبنة الأولى في تشكيل المجتمع من جهة أخرى، فدون جماعة سوية لا يمكن الحديث عن مجتمع راشد، فيلزم من صلاح الأولى صلاح الثاني.

وعليه؛ فإن الاعتناء التشريعي بالأسرة كان من أجل تثبيت ماهيتها، وتجلية المساحات العلائقية وحدودها، والتركيز على أنها امتداد واتساع نحو أمة الرسالة والبلاغ والشهود. لذلك لم يكن غريبا أن جعل الإسلام لكل دائرة من دوائرها المبثوثة أحكاما وتشريعات دقيقة تحكم بناءها وتربطها بسابقتها وتصوبها نحو الدائرة الكبرى (الأمة) والرسالة الأسمى، وهي أمانة الاستخلاف وإعمار الأرض كدحا نحو الله تعالى وملاقاته (بدر، 2009، صفحة 81).

وبالنظر إلى الرؤية الاستخلافية العمرانية يمكن القول إن الزوجية هي النواة الرئيسية لتكوين الأمة القائمة الناهضة الراشدة (الأمة القطب)، ولا تكتمل هذه الزوجية دون تشابكها في إطار أواصر القرابة والنسب التي تندرج ضمن مسمى «الأهل».. ومجموع الأهالي هو الذي يكون الأمة أو الشعب (تلوت، 2018).

3.1 تعريف الدورلغة واصطلاحا:

1.3.1 الدورفي اللغة:

الدال والواو والراء، أصل واحد؛ يدل على إحداق الشيء بالشيء من حواليه (ابن فارس، 1979، صفحة 310)، ودار دورا بسكون الواو، ودورانا بفتحها، وأداره غيره، ودور به، والدواري: الدهر يدور بالإنسان أحوالا (الرازي، 1999، صفحة 109)، ودار يدور واستدار يستدير، بمعنى إذا طاف حول الشيء وإذا عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه (ابن منظور، 1414، صفحة 296).

وفي المعجم الوسيط: الدور الطبقة من الشيء المدار بعضه فوق بعضه، يقال انفسخ دور عمامته، وعند المناطقة: توقف كل من الشيئين على الآخر والنوبة، والدورة في المكروه الدائرة، والدورة الدموية، دوران الدم في البدن من الأوردة إلى الشرايين، ومن الشرايين إلى الأوردة، والدورة الزراعية: تقسيم المزرعة قسمين أو ثلاثة يخصص في الأولى النصف للقطن والنصف الآخر للبرسيم والحب وهي الدورة الثنائية، ويخصص في الآخر الثلث للقطن والثلثان للبرسيم والحب، وهي الدورة الثلاثية، ودورة المياه: المرحاض والحمام وما يتعلق بهما، ودورة المجلس النيابي ونحوه مدة انعقاده في السنة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، صفحة 303).

2.3.1 الدور في الاصطلاح:

والمقصود بالدور من الوجهة السيكو سوسيولوجية: النمط المنظّم للسلوك، ويرتبط بوضعية محددة في المجتمع، وهو مرادف للوظيفة بالمعنى الرائج للكلمة (علوش، 1985، صفحة 90).

ويمكن أن يقال: بأن المقصود بالأدوار الأسرية: هي تلك الوظائف والمهام التي من شأنها أن ترتبط بكل دور، بحيث تتجسد من خلالها تمثلات الأسرة في المجتمع.

4.1 تعريف الخطاب القرآني:

1.4.1 الخطاب في اللغة: هو أحد مصدرين للفعل (خاطب)، يقال: خاطب مخاطبة وخطابا، ودلاليا هو إيصال المعنى إلى السامع عن طريق الكلام، وبهذا المفهوم وردت الكلمة في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿20﴾ ﴾ ص، أي أعطي الفهم (الطبري م.، 2000، صفحة 172).

والخطاب يقتضي ثلاثة عناصر: المرسل والمستقبل والرسالة.

2.4.1 الخطاب في الاصطلاح: هو كل كلام متصل اتصالا يمكنه من نقل رسالة كلامية من الملقي إلى المتلقي (العموش، 2008، صفحة 24).

والقرآني: نسبة إلى القرآن: وهو كلام الله تعالى المنزل على عبده محمد ﷺ المتعبد بتلاوته، المعجز بألفاظه ومعانيه، المنقول إلينا بالتواتر، والمكتوب في المصاحف، المبدوء بالفاتحة، والمختوم بالناس (الزرقاني، صفحة 20) و (الصالح، 2000، صفحة 21).

وبالتالي **فالخطاب القرآني** هو كلام الله تعالى المنزل على نبيه محمد ﷺ المتوجه إلى المكلفين إما بغرض أمر أو نهي، أو تصحيح اعتقاد، أو بغرض وصف دنيا أو أمر من أمور الآخرة، أو بغرض قصصي (ناجي، 2022).

2. أهمية كيان الأسرة في المنظومة القرآنية.

يعدّ الزواج هو المدخل الفطري والشرعي لبناء الأسرة المتراحمة التي تضطلع بأدوارها الحضارية ومسؤولياتها المجتمعية، ذلك أن الأسرة من المنظور الإسلامي هي كل شيء، فيها يصنع الإنسان، وبها يبنى العمران، ولذلك أولاها القرآن الكريم الحظ الأوفر والمساحة الأوسع من تشريعاته، تفصيلا وتبيينا لأدق أحكامها.

إنّ نجَاح الأسرة باعتبارها نواة المجتَمع، وحاضنة الأفراد فيه، وملبية احتياجاتهم الوجدانية، والمانحة للثقة لهم، والمعززة للأخلاق الدينية والمبادئ الوطنية والقيم الإنسانية، وإن استقرارها يسهمان في تحقيق أمن المجتمع وسلامته، ويقللان من وقوع المشاكل كالطلاق والعنف والقتل والاغتصاب وانتشار المخدرات وتفشي الفواحش، ولا سبيل إلى ذلك إلا بزواج ناجح ومتين على هدى وبصيرة.

إن الأسرة تعد مصنع الإنسان الأول، والعمران هو التجلي للعمل الإنساني على الأرض، وارتقاء العمران مرتهن بصلاح الإنسان، وصلاح الإنسان مرتبط وجودا وعدما بأخلاق الأسرة وصلاحها.

ولقد اهتم القرآن الكريم أشد الاهتمام بالأسرة لاعتبارها القاعدة الأساس في الحياة، واللبنة الأولى في قيام المجتمعات، إننا لنجده يفصل أحكاما تتعلق بالأسرة والعائلة حتى ليكاد الناظر يجزم بأن ثمة استغراقا كاملا لكل الأحكام التي تتعلق بها.

إن عناية القرآن بالأسرة كانت بالنص الكامل على نظامها، وهو ما نراه متناثرا في سور شتى، إنه نظام ملحوظ فيه كل خصائص الفطرة الإنسانية وحاجاتها ومقوماتها، وينبثق من معين الفطرة وأصل الخلقة، وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعا وللمخلوقات كافة، وتبدو هذه النظرة واضحة في قوله تعالى﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ٣٦ ﴾ يس و (دوقيه، 2023).

ثم تتدرج النظرة للإنسان فتذكر النفس الأولى التي كان منها الزوجان، ثم الذرية، ثم البشرية جميعا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ... ﴾ النساء1، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ الحجرات 13، ثم تكشف عن جاذبية الفطرة بين الجنسين، لا لتجمع بين مطلق الذكران ومطلق الإناث، ولكن لتتجه إلى إقامة الأسر والبيوت: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا ﴾ الروم 21.

فالأسرة تلبي هذه الفطرة العميقة في أصل الكون وفي بنية الإنسان، ومن ثم كان نظام الأسرة في القرآن هو النظام الطبيعي الفطري المنبثق من أصل تكوين الإنسان، بل من أصل تكوين الأشياء كلها في الكون، إذ في القرآن ثمة ربط بين النظام الذي أقامه الله للإنسان، والنظام الذي أقامه الله للكون.

يقول الكاتب ستيفن كوفي- وهو الأب لتسعة أبناء والجد لـ49 حفيدا- الحائز على جائزة الأبوة عام 2003م، من منظمة المبادرة الوطنية للأبوة (الموسوعة الحرة ويكيبيديا، بلا تاريخ): "إن الأسرة هي أهم

وأعظم مؤسسة في العالم، إنها لبنة البناء في جدار المجتمع، ولا يمكن أن تقوم قائمة أية حضارة دون تماسك الأسرة، ولا أن تحقق أية مؤسسة أخرى في الوجود دورها المهم الذي تلعبه" (كوفي، 2010، صفحة 91). من هنا كان من مقاصد القرآن الكريم الكبرى تكوين الأسرة الصالحة وبالتالي المجتمع السوي.

3.الأدوار الأسرية في الخطاب القرآني:

يمكننا على ضوء ما سبق أن نقرر بأن الأسرة في القرآن الكريم تعرّف بعناصرها ووظائفها، وهي في شأنها الغالب مرتبطة بتلك الأدوار والوظائف الموكلة لها، من أجل تحقيق مهمة الاستخلاف، والخطاب القرآني إذ يؤكد على ضرورة المحافظة على هذا النظام، نجد أن نصوصه الواردة في هذه السنة- سنة الزواج- قد سدّت جميع منافذ العبث، وحسمت مادة الهوى، وغلقت كل الأبواب المؤدية إلى فساد هذا النظام (عيساوي، 2012، صفحة 213).

لقد جعل الله تعالى تحقيق هذه السنة مشاركة بين طرفين دون تحكم من طرف أو تعسف من الطرف المقابل، سواء من ناحية الوجود أو من ناحية العدم، كما أن الشريعة نزاعة إلى الاحتياط لمصالح الجماعة، حفاظا عليها من كل تطاول أو تسور من شأنه أن يعود على الكل بالفساد (عيساوي، 2012، صفحة 213).

إن أدق خاصية تتميز بها السنن الاجتماعية عن النفسية أنها جماعية الاتجاه والجزاء، اجتماعية المحتوى والمضمون، ومن هنا تجد البناء المقاصدي في حفظ مصالح الإنسان والإنسانية يؤطره السقف المعرفي السنني الاجتماعي، حين يرصد غدو ورواح حركة المصلحة والمنفعة في ثنائية الفرد والمجتمع رصد معيارايا، بضمان تدافع المتتاليات المقاصدية من ضروريات وحاجيات وتحسينيات، مع الشروط التنجيزية لسنّة التدافع الاجتماعي، من دفع حاجة الأفراد بحاجيات المجتمع، وضروريات الأفراد بضروريات الجماعة، وتحسينيات الفرد بمثيلاتها عند الأمة، سدا لكل منافذ الطغوى التي ينتجها الأثرة بالمال، وإنقاصا من غلواء تمركزه في اليد الواحدة (عيساوي، 2012، صفحة 214).

إن النتيجة النهائية التي تتغياها السنن الاجتماعية أن تحفظ صلاح الفرد والمجتمع ومعهما صلاح الموجودات، سواء بسواء؛ فلا يعقل أن يصلح الحال الجماعي بفساد الأفراد، كما لا يعقل أن يصلح الفرد بفساد المجتمع، والأمر ذاته ينسحب على الموجودات التي هي محل النفع الفردي والجماعي (عيساوي، 2012، صفحة 214).

ومن ثمة فإن سنن الهدى والرشاد التي حواها الخطاب القرآني موجها بها الأسرة والمجتمع، كانت الكفيلة الكافية لبقاء هذا اللبنة على قيد الحياة، صالحة، وحيوية، تؤدي دورها، ومن ورائها المجتمع برمته، على أتم وجه وأكمله، ومن الأدوار الأسرية التي يمكننا الإحاطة بها في هذه العجالة، ما يلي:

1.3 دور الاستقرار:

تستقر الأسرة وتطمئن بما يخيّم على علاقة الزوجين فيها من سكنٍ وتفاهم، وبما يحكم علاقة الأصول والفروع من ودٍّ وتراحم وتكافل، لهذا يصور الخطاب القرآني تلك العلاقة البينية تصويرًا رقيقا شفافا، مليئا بالحب والمودة، والدفء والحنان، فيقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿21﴾ ﴾ الروم 21 ، ويقول: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ البقرة 187، ويقول: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ النساء 19، ويقول: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿233﴾ ﴾ البقرة، إنها صلة النفس بالنفس، وصلة السكن والقرار، وصلة المودة والرحمة، وصلة الستر والتجمل.

في ذات الوقت الذي يلحظ فيه القرآن أغراض ذلك الرباط الوثيق، بما فيه من امتداد الحياة بالنسل، يفيض على هذه الأغراض كلها طابع النظافة والبراءة، ويعترف بطهارتها وجديتها، وينسق بين اتجاهاتها ومقتضياتها، فيقول: ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ البقرة 223.

ويحيط القرآن هذه الخلية، أو هذا المحضن، بكل رعايته وضماناته، وحسب طبيعة هذا الدين الكلية فإنه لا يكتفي بالإشعاعات الروحية؛ بل يتبعها بالتنظيمات القانونية والضمانات التشريعية.

والذي ينظر في التوجيه القرآني يجد أن ثمة تشريعات مصاحبة، بل هناك حشد ظاهر حول هذا التوجيه، فانظر كيف جمع الله تعالى بين تقواه سبحانه وتقوى الرحم في أول سورة النساء، حيث يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿1﴾ ﴾ النساء.

وجمع بين عبادة الله والإحسان للوالدين في سورة الإسراء وفي غيرها: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿23﴾ ﴾ الإسراء، وبين الشكر لله والشكر للوالدين في سورة لقمان: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ ۖ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿14﴾ ﴾ لقمان.

ومن العوامل التي تساعد على استقرار الأسرة، ما يلي:

أ- التعاون على أداء الواجبات:

لكل من الزوج والزوجة دور ومسئولية في أداء الأسرة ورسالتها، ومن مقتضيات العشرة بالمعروف تعاونهما في أداء هذه المسئوليات، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ النساء19، وإن أعظم تعاون هو التعاون على تربية الأبناء، فإنها مسئولية الأب كما هي مسئولية الأم، والزوجان اللذان يتعاونان على هذه المسئولية يسهمان في المحافظة على استقرار البيت، ويغلقان باب إلقاء المسئولية على الآخر والهروب منها.

ب- حسن العشرة:

لا بد للزوجين أن يتبادل كل واحد منهما المعاملة بالخلق الحسن، المتمثل في القول والفعل والشعور القلبي والإحساس العاطفي، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ الروم21.

ج- العفة وإشباع الرغبة:

يجب على الزوج أن يؤدي حق زوجته في العفاف والإشباع الجنسي، فيَحرم على الرجل أن يهجر فراش زوجته لغير عذر شرعي، كما أنه لا يهجر زوجته بحجة انشغاله بالعبادات وطلب العلم؛ فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التبتُّل وترك مجامعة النساء (البخاري، 1422، صفحة 4) و (النيسابوري، صفحة 1020).

د - التشاور بين الزوجين:

من عوامل استقرار الأسرة واستمرارها التشاور بين الزوجين في أمر العائلة، والشورى منهج حياة في ديننا الإسلامي، والأمر بها ورد كهيئة وصِفَة من الصفات المميزة للمسلمين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ الشورى 38، بل سميت سورة من القرآن بذلك.

وإن أولى الناس بالمشاورة هم الأشخاص المنوط بهم تحمل المسئولية في البيت، وهم الزوجان، والأولاد.

هـ- مراعاة القوامة واستعمال على وجهها الصحيح من الطرفين:

فلا يجوز للزوج أن يتعدى حدود مسئوليته باسم القوامة، ولا يحق له أن يهمل ذلك وقد منحه الله حقًا لا ينازعه فيه غيره، وكذلك على الزوجة أن تفهم حدود القوامة للزوج، حتى لا تنازعه حقًا وهبه الله له، ولا أن ترضى بأن يفرط بواجب حمَّله الله إياه، قال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ النساء 34.

ويتحقق دور الاستقرار هذا بتحقق ثلاثة أركان:

الأول: السكن، وهو السكون النفسي الجنسي الذي يتحد به الزوجان؛ فيكونان حقيقة واحدة كالماء والهواء، ومنه جاء معنى الإفضاء، وأكد عليه بمصطلح الميثاق الغليظ، ويدخل في هذا المعنى السكن المادي، وهو ما يمكن للزوجين أن يأويا إليه، ويحتميان به من كل مكروه، وأثره على الاستقرار النفسي معلوم.

الثاني: المودة، وهي التي تتعدى الزوجين إلى أسرتيهما فيسري بها الحب والتعاون من الأقارب إلى البعداء.

الثالث: الرحمة، وهي التي تكمل لهما بالولد المنفصل منهما الممثل لهما؛ فينتشر التراحم بين الأحياء (البيطار، صفحة 352).

ولا شك أن استقرار الأسر سيؤدي حتما إلى تحقيق الوظائف والأدوار الموكلة لكل فرد من أفرد تلك الأسرة، وبالتالي سيؤثر حتما في استقرار المجتمعات وتطور الدول، ويدفع إلى تعزيز قيمة العمل وكل القيم المجتمعية، وما به تتماسك اللحمة الوطنية.

2.3 دور الإعمار:

يشغل موضوع عمارة الأرض وتنمية الحياة البشرية مساحة مهمة في القرآن الكريم، دون أن يتضمن تفاصيله وكيفياته أو يتدخل فيها، بل يرشد إلى مواده وعناصره الأساس المبثوثة في الكون، على الإنسان اكتشافها والتعامل معها وفق سننها، ولكنه يتدخل في بناء هذا الإنسان وتزكيته اعتقاداً وتصوراً وفكراً، وسلوكاً وعملاً، لينعكس ذلك رشداً وصلاحاً في إعمار الأرض، ذلك أن هذا الأخير يأتي من المنظور القرآني امتداداً لتزكية الإنسان كمقصود منها، لأن التزكية موضوعها الإنسان المستخلَف في الأرض، الذي بزكاته وصلاحه، يؤثر في الحياة في مختلف مناشطها صلاحاً واستقامةً، لكن للقرآن تدخل في العملية العمرانية من نوع آخر، وهو ما يتعلق بتقديمه الهداية العامة لتلك المجالات الحياتية والمناشط الإنسانية، التي يتمظهر من خلالها هذا العمران ويتشكل وينتظم بها في جملته؛ إذ ألفيناه يهديه إلى الأقوم والأصلح فيها، فشملها بتشريعه الكامل والمكتمل، بما وضعه من تلك المبادئ العامة الكلية، والقيم فيما يتطور فيها بتغير الزمان والمكان، إلى جانب ما وضعه لها من تلك الأحكام التفصيلية فيما لا يتطور مهما تغير الزمان والمكان (دوقيه، 2023).

والعمران هو من مهام الإنسان الكبرى التي تدخل في إطار وظيفته الاستخلافية التي كلف بها: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ البقرة 30، إذ هو «الركن المكمّل لعملية "الاستخلاف"، والقيمة الحضارية الكبرى في الإسلام التي تؤطر حركة الاستثمار في الكون، والتعامل مع الأشياء وفق منهج الله في أمره ونهيه؛ حيث المقصد العام للشريعة الإسلامية: إصلاح الأرض وعمارتها، وتزجية معاش الناس فيها، ومن البديهي أنه لكي يتحقق العمران بهذا المعنى، فلا بد أن يتم عبر اجتماع

الناس وإقامتهم واســتقرارهم في مكان وموطن وتعاونهم، وكذا عبر مســاحة الزمن المتمثل في هذه الحياة الإنسانية والأعمار التي يتمتع بها الناس (دوقيه، 2023).

ويتأسس هذا الدور على أربعة أسس، هي:

أ- **الإنجاب:** حيث امتن الله على عباده في آيات كثيرة بأنه خلق البشر من ذكر وأنثى، ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ النساء 1، وأفاض بعد ذلك منهما رجالا كثيرا ونساء، وذكر القرآن الإنسان، بأنه قد خلق من نطفة، فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿12﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿13﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿14﴾ ﴾ المؤمنون.

ب- **الإمداد:** كما يؤدي الغذاء الدور الرئيسيَّ في نمو الطفل وتطويره، فإنها مرحلة أيضا يتم فيها ذلك البناء النفسي وتأسيس الاتجاه، وتبلور نمط التفكير والسلوك، والطفل الإنساني هو أطول الأحياء طفولة، حيث تمتد طفولته أكثر من أي طفل آخر للأحياء الأخرى، فهي فترة إعداد وتهيؤ وتدريب للدور المطلوب من كل حي باقي حياته.. ومن ثم كانت حاجته لملازمة أبويه أشد من حاجة أي طفل لكائن آخر، وكانت الأسرة المستقرة الهادئة ألزم للنظام الإنساني، وألصق بفطرة الإنسان وتكوينه ودوره في هذه الحياة، ولنا في وصايا لقمان لابنه، عبرة وعظة: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿14﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿15﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿16﴾ ﴾ لقمان، وقل مثل ذلك في آيات الإيصاء والقضاء.

ج- **الإنماء:** وفيها يتم عمل الأسرة على متابعة مراحل نمور الطفل، والحرص على أن تعطى كل مرحلة ما تستحق من التوجيه والتهذيب، والتطوير، سواء تعلق ذلك بالنمو الجسدي، أو العقلي والعاطفي، أو الاجتماعي والنفسي، لهذا فالدعم العائلي في هذه الفترة يلعب دورًا حاسمًا في تطوير الطفل خصوصا إذا علمنا أن بناء الوجدان والإرادة والبعث النفسي، هي المطالب الأولى في مسيرة إصلاح الأمة أحوالها ونهوضها المتجدد، إن جملة التشريعات ذات العلاقة بالشعائر، هي من جملة الإمدادات التي يتلقاها المسلم عبر مراحله العمرية خصوصا في فترة المراهقة، حين يكون ثمة نوع من الاضطراب الذي

لا تداويه إلا مثل تلك التوجيهات الإلهية التي تضفي على النفس السكينة والطمأنينة، وتبعث على السلوك القويم والهادف، يقول تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩ ﴾ لقمان.

د- **بناء عقلية الإنتاج:** بما أنّ الأسرة هي المحضن الأول والأهم للطفل البشري، نفسيا وماديا، فالطفل البشري يولد غير قادر على تحصيل حاجاته وحماية نفسه، دون عناية أسرية توفر له الحاجات المادية والنفسية وترعى طفولته، وتتأكد الرعاية من خلال بناء عقلية منتجة، تساهم في بناء ذاتها، كما تساهم أيضا في بناء مجتمعها، ولا يمكن أن نصل إلى ذلك النوع من الأطفال إلا إذا تعهدنا نحن كمجتمع أن نمنح أطفالنا ما يستحقون عبر جميع المراحل، إننا بذلك نعد شابا مساهما ومثابرا، يؤدي واجباته كما يسأل عن حقوقه، يقول تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾ يوسف، ونعلم أن الامتحان الذي خاضه يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز، كان النجاح فيه من حليف يوسف، وهو مكسب ليوسف وأهله بلا شك.

3.3 دور الإصلاح:

تكمن قضية إصلاح واقعنا في كسب معركة الإنسان في مرحلة طفولته، وهو ما يتطلب أن تعي الأسرة دورها الأكبر فيها، ومواصلة توعيتها بذلك من خلال كل وسائل الاتصال والمتابعة مع التقويم للاختلالات الموجودة، وهو الدور الذي لا غنى عنه للتحرك خطوة واحدة في هذا الطريق الإصلاحي إذا علمنا أنه لا ينحصر في الفضاء الأسري الداخلي، بل يتسع ليتحكم ويؤثر في الفضاءات الخارجية في المجتمع، إننا نعني بالإصلاح هو تلك المشاركات التي يقطعها الفرد من أجل بناء ذاته، والوقوف على ما يصلحها، لقد بثت آيات القرآن الكريم وسهلت طرقا كثيرة للوصول بالنفس إلى ما يصلحها، فمما قال تعالى في هذا الشأن:

﴿ سَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ

يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿134﴾ ﴾ آل عمران ، وقال: ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿36﴾ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخۡرِقَ ٱلۡأَرۡضَ وَلَن تَبۡلُغَ ٱلۡجِبَالَ طُولٗا ﴿37﴾ ﴾ الإسراء، وقال أيضا: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿151﴾ ﴾ الأنعام، فالأسرة بيدها القوة والتأثير والمشروعية التي تحدد نوع التأثير الذي يمكن أن تمارسه المؤسسات وبقية قوى المجتمع على الطفل، وعلى بنائه النفسي والوجداني، وعلى قدراته المعرفية، والأسرة بمنزلة النظارة الملونة على عيني الطفل وبصره وبصيرته، يصبغ لونها ما حول الطفل من الوجود والبيئة، فلا يصبح المهم في الحقيقة وفي العمق ماذا يسمع الطفل أو يرى، ولكن المهم كيف يفهم الطفل؟ وكيف يعي ويدرك ما يسمع وما يرى؟ ولذلك يختلف الأطفال – فيما وراء قدراتهم الطبيعية – في كثير من توجهاتهم ونوعية معادنهم وسلوكهم، وهم يدرسون في مدرسة واحدة، وفي صحبة دراسية واحدة، وعلى منهج دراسي واحد، وعلى يد مدرس واحد، ويعود السبب في ذلك - في المكان الأول - إلى تأثير الأسرة والبيئة المنزلية ونوعية الأصدقاء- الذين يجب أن يسهم الآباء في اختيارهم – على البناء النفسي للطفل وطاقاته وتوجهاته الوجدانية.

4.3 دور القيادة:

ويكون ذلك ببناء القدوة في العبادة، فقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ الأنعام 90، وها هنا تربية بالقدوة، يقول الطبري: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم اقتده، أي: فاعمل، وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضا، ومنهاج من سلكه اهتدى (الطبري م.، 2000، صفحة 519) .

ومن هنا أداء العبادة أمام الأطفال والصغار من أساليب تعليمهم وتربيتهم على أدائها، وقل مثل ذلك في أنواع وجوه البر، وحسن الحديث، وقول الصدق، وأداء العمل، وإتقانه.

ويكون ذلك أيضا ببناء القدوة في العادات، مما يتعلق بالأعراف المختلفة، والعادات المجتمعية الحسنة، فقد دعا القرآن الكريم في آيات متعددة إلى استعمال المعروف والعادة عند الاختلاف في قضايا الزواج والطلاق وغيرها، قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾ النساء 19، وقال أيضا: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ البقرة 83، وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ

كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴿53﴾ ﴾ الإسراء، وهكذا يمكن للطفل أن يكتسب معارف وعادات تفيده في مجابهة مختلف القضايا المجتمعية.

ويكون دور القيادة أيضا برفع سقف الأمانة، وتدريب النشء عليها، وقد جاء الحثّ على ذلك في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿32﴾ ﴾ المعارج، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ لنساء 58، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿27﴾ ﴾ الأنفال.

وقد ربي الله نبيّه محمدا ﷺ على هذا الخلق، حتى لقب قبل البعثة بالصادق الأمين، وليس هناك من ألق لهذا النبي يحمد حق الحمد، من كونه أدى الأمانة في تبليغ وحي ربه، وهكذا يطلب من المجتمع أن يؤدي هذا الدور الرسالي، أينما كان الفرد فيه، فالأمانة في العبادة تؤدى، وفي مكان العمل كذلك، وفي الشارع، وفي البيت، وفي المؤسسات، وفي كل مكان يمكن للإنسان أن يشغله، وهكذا المجتمعات يمكن لها أن تؤدي أمانة رعي الحقوق، وإرشاد الحائر، وإعانة الملهوف.

ويكون دور القيادة أيضا برفع سقف الصدق، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿119﴾ ﴾ التوبة، وقال أيضا: ﴿ وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿33﴾ ﴾ الزمر، وإذا ربي النشء وهكذا الأمة على هذا الخلق، باستطاعتها أن تتجاوز محنا كثيرة، وباستطاعتها أيضا القضاء على العديد من الأمراض المجتمعية التي إذا غاب الصدق فاضت كثرة، ولوثت الجو العام.

إنّ الصدق هو صمام الأمان في المجتمع، وهو الرهان الذي يقوم عليه الأمن المجتمعي، ومتى فقد عمت الفوضى، ودب داء الكذب والخيانة، والغدر.

5.3 دور الشهادة:

ويكون ذلك بتحقق الأدوار السابقة في الأسرة لتصبح قيادية، يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا ﴾ البقرة 143، فالشهادة على الناس تكون بإثبات الفاعلية المرجوة من دلالة القرآن وتوجيهه، ولا يمكن لأي أمة أن تشهد على غيرها أو أن تحقق معاني الشهود الحضاري، والمجتمع فيها مضطرب لا يعرف سبيلا إلى الاستقرار النفسي أو الاجتماعي، وهكذا الاقتصادي أو السياسي، ولا يمكن أيضا أن تحقق معنى الاستخلاف وعمارة الأرض، وهي ترزح تحت وطأة التخلف، وتشغلها معضلة التقهقر الحضاري، وعملية إصلاح الأفراد على جميع المستويات.

إن القيادة والشهود الحضاري لا بد فيهما من تحقق ما سبق من أدوار، ومتى ما تحقق ذلك يمكننا البوح حينذاك بأن هذه الأمة على مستوى ما يطلبه ويرجوه الخطاب القرآني.

4. الخاتمة

وفي الختام لا بد لي من التأكيد على ما يلي:

- أن مدارسة قضايا الأسرة من الأهمية بمكان، فهي اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي، وإن جاز لنا أن نقول، فهي المجتمع كله، منها تنطلق الحياة الاجتماعية للأمم والحضارات، ولا حضارة راشدة تقوم بلا أسرة، ولا عمران سليم يُبنى على غير أسرة.
- وأن الحاجة ماسة وقائمة في أمتنا في كل زمان ومكان، وخاصة في عصرها الراهن إلى الكرع من معين كتاب الله العزيز الذي لا ينضب، والاستفادة منه في تأطير الأسر، وبيان مناهج وحيثيات الرقي الحضاري وبناء الأمم.
- لا بد من توجيه وعي الناس نحو هضم هذه الأدوار، والرقي بالأنا الفردي والجماعي نحو تحقيقها، وتمثل ما فيها من وظائف وقيم.
- لا بد أيضا من إبراز هذه الأدوار بمعناها السيسيولوجي والابستمولوجي.
- إن الواجب علينا أن نفهم هوية الدور بحسب موقع صاحب الدور، وهذه الهوية هي مجموعة الوظائف التي يملاؤها الدور.
- على الفواعل من جميع القطاعات أن تنبري لتهيئة مراكز أبحاث تعالج كل القضايا ذات العلاقة بالأسرة، سواء تعلق ذلك بالدراسات الاستشرافية، أو تعلق بإيجاد الحلول لكل المشكلات التي تعاني منها الأسرة الجزائرية.

قائمة المصادروالمراجع

- (بلا تاريخ). تم الاسترداد من الموسوعة الحرة ويكيبيديا: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D8%AA%D9%8A%D9%81%D9%86_%D9%83%D9%88%D9%81%D9%8A
- إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار. (بلا تاريخ). المعجم الوسيط. مصر: دار الدعوة.
- أحمد القزويني الرازي ابن فارس. (1979). معجم مقاييس اللغة (المجلد 2). (عبد السلام هارون، المحرر) بيروت، لبنان: دار الفكر.
- أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني. (1379). فتح الباري شرح صحيح البخاري (المجلد 6).
- (محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، عبد العزيز بن باز، المحرر) بيروت، لبنان: دار المعرفة.
- أسماء ناجي. (يوليو, 2022). الخطاب القرآني مفهومه وأنواعه. مجلة علوم اللغة والأدب، الصفحات 286-278. تم الاسترداد من https://mala.journals.ekb.eg/article_245275.html
- الطاهر العربي سركز. (يونيو, 2020). الاستقرار الأسري وانعكاسه على جودة الحياة الاجتماعية. مجلة كلية الآداب، الصفحات 303-338.
- جميلة تلوت. (2018). مقصد الأسرة في القرآن: من الإنسان إلى العمران. تاريخ الاسترداد 4 10، 2023، من مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي: https://al-furqan.com/ar/%D9%85%D9%82%D8%B5%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D9%85%D9%86-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D9%86%D8%B3%D8%A7%D9%86-%D8%A5%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84/
- خالد العموش. (2008). الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق. الأردن، الأردن: عالم الكتب الحديث.
- خديجة كرار الشيخ الطيب بدر. (2009). الأسرة في الغرب أسباب تغيير مفاهيمها ووظيفتها. سوريا، سوريا: دار الفكر.
- ستيفن كوفي. (2010). العادات السبع للأسر الأكثر فاعلية. الرياض، السعودية: مكتبة جرير.
- سعيد علوش. (1985). معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة. بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- صبحي الصالح. (2000). مباحث في علوم القرآن. بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.

- عادل عيساوي. (2012). فقه السنن الإلهية ودورها في البناء الحضاري. الدوحة، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- عبد الحميد الفراهي. (2002). مفردات القرآن (المجلد 1). (محمد أجمل أيوب الإصلاحي، المحرر) لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- فاطمة الزهراء دوقيه. (3 مارس, 2023). الأسرة في القرآن الكريم وأثرها في تحقيق العمران. تاريخ الاسترداد 4 10، 2023، من مركز الشهود الحضاري: https://shuhoud.com/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B3%D8%B1%D8%A9-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%A2%D9%86-%D9%88%D8%A3%D8%AB%D8%B1%D9%87%D8%A7-%D9%81%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%B1%D8%A7%D9%86-%D8%AF/
- محمد إسماعيل البخاري. (1422). الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري (المجلد 7). (محمد زهير بن ناصر الناصر، المحرر) مصر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي).
- محمد عبد العظيم الزرقاني. (بلا تاريخ). مناهل العرفان في علوم القرآن (المجلد 1). مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- محمد ابن جرير الطبري. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن (المجلد 24). (أحمد محمد شاكر، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- محمد ابن منظور. (1414). لسان العرب (المجلد 4). بيروت، لبنان: دار صادر.
- محمد الرازي. (1999). مختار الصحاح. (يوسف الشيخ محمد، المحرر) بيروت، لبنان: المكتبة العصرية.
- محمد بهجت البيطار. (بلا تاريخ). نداء للجنس اللطيف. مجلة المنار، 32.
- محمد جرير الطبري. (2000). جامع البيان في تأويل القرآن (المجلد 11). (أحمد محمد شاكر، المحرر) بيروت، لبنان: مؤسسة الرسالة.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري. (بلا تاريخ). المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم (المجلد 2). (محمد فؤاد عبد الباقي، المحرر) بيروت، لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- وهبة الزحيلي. (2008). الأسرة المسلمة في العالم المعاصر. سوريا، سوريا: دار الفكر.

- وئام تازي. (11 ماي، 2023). تقرير محاضرة: البعد المقاصدي للبناء الأسري والأدوار الأسرية للدكتورة خديجة مفيد. تاريخ الاسترداد 29 10، 2023، من منار الإسلام للأبحاث والدراسات: https://islamanar.com/dr-khadija-mofeed/